إيثار الحروف في الحديث القدسي "دراسة بلاغية لنماذج من الصحيحين"

اعداد

عمر بن عثمان بن محمد الملا

استاذ البلاغة والنقد المساعد قسم اللغة العربية

كلية الآداب جامعة الملك فيصل

المستخلص :

يقوم هذا البحث على دراسة بلاغية لإيثار حروف المباني وحروف المعاني (حروف الجر نموذجًا) في شواهد من الحديث القدسي في صحيح البخاري وصحيح مسلم، وقد وقفت الدراسة على أثر السياق في تحقيق الأغراض البلاغية من وراء مواضع الاختيار لأي حرف من تلك الحروف، وقد أسفر البحث عن نتائج ختمت بها الدراسة كان من أبرزها تحقق الدلالات المعنوية بالغة الأهمية ومنها تصوير كمال قدرة الله عز وجل وتمام جبروته وقوته وقهره، ومنها الترغيب والترهيب لكافة البشر.

مفاتيح البحث: الحديث القدسي - الإيثار - الحروف - البلاغة - الصحيحان

Abstract:

This research is based on a rhetorical study of the preference for building letters and meaning letters (prepositions as an example) in evidence from the Holy Hadith in Sahih al-Bukhari and Sahih Muslim. The study focused on the impact of context in achieving the rhetorical purposes behind the placements of choice for any of those letters. The research resulted in The results that concluded the study were the most prominent of which was the achievement of very important moral connotations, including the depiction of the perfection of the power of God Almighty and the completeness of His power, strength, and oppression, including encouragement and intimidation for all human beings.

Keywords: Holy Hadith - Altruism - Letters - Rhetoric - Al-Sahihaan

مقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدّين، والصلاة والسلام على شفيع المتقين وأتقى الشافعين، حبيبنا وسيّدنا محمّد وعلى آله وأزواجه وأصحابه، ومن تبعهم من الأولياء والصالحين، ثم أما بعد ...

فإنّ الدراسات البلاغية موردٌ عذب للكشف عن لطائف النظم البليغ، وأسرار التعبير العالي، لا سيما إذا كانت منصبّة على مائدة الوحيين، وجمعت بين الحسنيين.

وهذه دراسة بلاغية للحديث القدسي تحاول الوقوف على الأسرار والنكات البيانية من وراء إيثار "حروف المباني" و "حروف المعاني" (واخترت منها حروف الجرّ) في الأحاديث القدسية، وبيان الدلالات التي دعت أن يؤثر حرف دون سواه من الحروف أو أداة على غيرها من الأدوات.

ولهذا جاءت هذه الدراسة بعنوان:

إيثار الحروف في الحديث القدسي "دراسة بلاغية لنماذج من الصحيحين"

وقد اخترت أحاديث الدراسة من أحاديث الصحيحين- كما يعرف من عنوان البحث- وأودّ الإشارة هنا إلى الكتاب الذي ساعدني في تحديد نماذج الأحاديث لهذه الدراسة البلاغية وهو كتاب " مجمع النورين للأحاديث القدسية من الصحيحين باختلاف الروايات والألفاظ للشيخ عرفان الدمشقي"، ومع ذلك فقد خرّجت جميع الأحاديث القدسية، ووثّقتها مباشرة من مصادرها الأصيلة في صحيح البخاري وصحيح مسلم -رضي الله عنهما ورحمهما رحمة واسعة- الذين هما أصحّ الكتب بعد كتاب الله جلّ وعزّ.

وقد اقتضت خطة الدراسة في هذا البحث أن يشتمل على مقدّمة وتمهيد ومطلبين ثم الفهارس الفنية:

فأما المقدّمة فقد اشتملت على موضوع البحث وخطة الدراسة.

وأما التمهيد فقد دعت حاجة البحث إلى ثلاثة مهادات موجزة هي: التعريف بمصطلح الإيثار في اللغة، والتعريف بالحروف وأنواعها في اللغة العربية، والتعريف بالحديث القدسي.

ثم تأتي مطالب الدراسة لهذا البحث على النحو التالي:

المطلب الأول: بلاغة إيثار حروف المباني في الحديث القدسي.

المطلب الثاني: بلاغة إيثار حروف المعاني (حروف الجرّ) في الحديث القدسي.

ويعقب هذه المطالب الدراسية فهارسُ الكتاب، وهي فهرس الأحاديث القدسية، وثبت المصادر والمراجع، وفهرس موضوعات البحث.

والله أسأل أن يكون هذا البحث خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع بما استقام منه وأصاب، وأن يغفر خطأه وهفواته، وهذا جهد المقل، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين.

تمهيد: لما كانت هذه الدراسة البلاغية تتناول إيثار الحروف في الحديث القدسي، فإنه يجدر في مهادها الوقوف -بإيجاز- عند مفردات عنوان هذا البحث على النحو التالي:

- التعريف بمصطلح الإيثار في اللغة.
- التعريف بالحروف وأنواعها في اللغة العربية.
- التعريف بالحديث القدسي.

أ- التعريف بمصطلح الإيثار في اللغة:

أصل كلمة الإيثار من (أثر)، وهو يدل على عدّة معان أحدها يتعلّق بإيثار الكلمة، وإيثار الحروف المعروف في الاستعمالات العربية والتعبيرات اللغوية.

يقول ابن فارس: "الهمزة والثاء والراء له ثلاثة أصول: تقديم الشيء، وذكر الشيء، ورسم الشيء الباقي. قال الخليل: لقد أثرت بأن أفعل كذا... قال ابن الأعرابي: معناه أفعله أولّ كل شيء" [1].

وجاء في (التعريفات): "الإيثار أن يقدّم غيره على نفسه في النفع له والدّفع عنه، وهو النهاية في الأخوّة" [2].

وفي (معجم الكليات): "و[أثر] على الأمر: عزم و[أثر] له: تفرّغ. وآثر: اختار. وآثر على نفسه: بالمدّ من الإيثار وهو الاختيار ... والأثرة: بمعنى التقدّم والاختصاص، من الإيثار. والأُثرة: بالضم المكرمة المتوارثة. ويستعار (الأثر) للفضل، والإيثار للتفضيل، وآثرت فلاناً عليك: بالمد فأنا أوثره" [3].

ويظهر مما تقدّم أنّ من معاني مادة (أثر): الدلالة على إيثار أمر على أمر واختيار فعل شيء دون غيره، وهذا المعنى هو ما يتعلق بموضوع هذا البحث، إذ إنّ من ذلك: إيثار حرف على حرف في الاستعمال اللغوي، واختيار كلمة دون غيرها في الكلام والتعبير.

وثَمّة مصطلحات لغوية تقارب مصطلح "الإيثار" في هذه الدلالة، من أهمّها وأشهرها مصطلح العدول ومصطلح الاختيار ومصطلح الالتفات بمعناه الواسع، وهي - ومعها مصطلح الإيثار - مستعملة بكثرة - على تفاوت - في التراث العربي، وجارية على ألسنة المفسّرين، ومتداولة في كتب اللغة والبلاغة العربية.

ب- التعريف بالحروف وأنواعها في اللغة:

يقول ابن فارس في معنى الحرف في اللغة: "الحاء والراء والفاء ثلاثة أصول: حدّ الشيء، والعدول، وتقدير الشيء" [4].

---

[1] مقاييس اللغة لابن فارس 54/1.
[2] التعريفات للجرجاني 59.
[3] الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية للكفوي 40/1.
[4] مقاييس اللغة 42/2.

ويقول الراغب: "حرف الشيء طرفه، وحروف الهجاء: أطراف الكلمة، والحروف العوامل في النحو: أطراف الكلمات الرابطة بعضها ببعض، وناقة حرف تشبيهاً بحرف الجبل، أو تشبيهاً في الدّقة بحرف من حروف الكلمة" [5].

وجاء في (مختار الصحاح): "حرف كلّ شيء طرفه وشفيره وحدّه. والحرف: واحد حروف التهجّي، وقوله تعالى: (ومن الناس من يعبد الله على حرف) قالوا: على وجه واحد، وهو أن يعبده على السّراء دون الضراء"[6].

وبهذا يتبين أنّ الحرف في اللغة له عدّة معان منها طرف الشيء وحدّه.

وأما الحرف في اصطلاح النحويين فهو بحسب نوعه كما سيأتي.

فالحروف في اللغة العربية تنقسم إلى حروف مباني وحروف معاني.

فأما حروف المباني: فهي التي تدخل في بنية الكلمة، وتتركب منها الكلمات، فإذا فصل الحرف عن بقية حروف الكلمة لم يدلّ على شيء أصلاً، كالواو في (وجد) والفاء في (فهم)، وسُمّيت بذلك لبناء الكلمة عليها وتركيبها منها، وتُسمّى أيضاً حروف التهجّي. وأما حروف المعاني: فهي التي تدلّ على معنى في غيرها، كالواو في (جاء محمد ومحمود)، فإنها تدلّ على اشتراكهما في المجيء، وكالفاء في (جاء علي فبكر)، فإنها دالّة على الترتيب والتعقيب. فهذه الحروف تدلّ على معان جزئية وضعت لها أو استعملت فيها، فهي تربط بين جزئين، ولها معان تبعية، ولا تكون ركناً في الكلام إلا مع ضميمة. وسُمّيت حروف المعاني؛ لأنها موضوعة لمعان تتميز بها من حروف المباني[7].

ومن الممكن القول في تعريفهما بموجز من القول:

حروف المباني: هي الحروف الهجائية أو حروف المعجم.

وتستعمل في تأليف الأبنية الكلامية.

وحروف المعاني: هي الحروف التي تفيد بنفسها معنى إذا انتظمت في الجملة.

أو أنّ حرف المعنى: كلمة لا يتمّ مدلولها إلا بإضافتها إلى اسم أو فعل [8].

ومن حروف المعاني: حروف الجر-وهي التي اخترتها في هذا البحث- وحروف العطف، وحروف الشرط، وحروف الاستفهام، وغيرها كثير.

وقد أفردها بعض النحويين بمؤلفات لبيان أصنافها وأحكامها، وذلك لأهمية موقعها في تركيب الكلام، وأثرها الكبير في معاني التراكيب، ومنهم الهروي في كتاب الأزهية في علم الحروف، والزجاجي في كتاب حروف المعاني، والرمّاني في كتاب معاني الحروف، والمالقي في كتاب رصف

---

(5) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني 114.
(6) مختار الصحاح للرازي 55.
(7) انظر: الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي 20-25، المفضّل في شرح المفصّل للسخاوي 35، 36، حروف المعاني وعلاقتها بالحكم الشرعي، د/ دياب عبدالجواد عطا 6، أثر اللغة في اختلاف المجتهدين، د/ عبدالوهاب عبدالسلام طويلة 193.
(8) انظر: حروف المعاني، د/ سليمان معوّض 32، 45.

المباني في شرح حروف المعاني، والمرادي في كتاب الجنى الداني في حروف المعاني، وابن هشام في مغني اللبيب عن كتب الأعاريب.

ج- التعريف بالحديث القدسي:

الحديث القدسي: هو الحديث الذي يسنده النبي صلى الله عليه وسلم إلى الله ِ فيرويه النبي صلى الله عليه وسلم على أنه كلام الله تعالى، وهو كلام الله بالمعنى واللفظ للرسول صلى الله عليه وسلم على القول الراجح.

والقدسي: نسبة تكريمية للقدس، ومعناه التنزيه والطهارة، وقد يدعو بعض العلماء ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية وابن حجر الأحاديث القدسية بالأحاديث الإلهية وبعضهم يسميها الأحاديث الربانية[9].

والحكمة التي اقتضت إنزال الحديث القدسي بمعناه: أنه إنما أنزل لمجرد العمل، ولم ينزل للتحدّي ولا للتعبّد بتلاوته، والعملُ بما فيه يحصل بإنزال معناه فقط [10].

د -بلاغة الحديث النبوي ومكانته الشرعية واللغوية:

هذا ولما كان الحديث القدسي كلام الله تعالى بمعناه فقط واللفظ للرسول صلى الله عليه وسلم، وجبت الإشارة إلى البلاغة النبوية التي تميّز بها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ففاقت بلاغة البشر كافة، فهو أفصح العرب، وهو صاحب جوامع الكلم صلى الله عليه وسلم.

قال الإمام جار الله الزمخشري: "إنّ هذا البيان العربي كأنّ الله عزّت قدرته مخّضه وألقى زبدته على لسان محمد عليه أفضل صلاة وأوفر سلام، فما من خطيب يقاومه إلا نكص متفكّك الرجل، وما من مصقع يناهزه إلا رجع فارغ السّجل، وما قرن بمنطقه منطق إلا كان كالبرذون مع الحصان المطهّم، ولا وقع من كلامه شيء في كلام الناس إلا أشبه الوضح في نقبة الأدهم. قال عليه السلام: أوتيت جوامع الكلم . قال: أنا أفصح العرب بيد أنّي من قريش واسترضعت في بني سعد بن بكر" [11].

ومن المعلوم في ميدان الدراسات الشرعية وغيرها أنّ الحديث النبوي هو المصدر الثاني بعد القرآن الكريم من مصادر التشريع الإسلامي.

وكذلك الحديث النبوي من مصادر الاحتجاج والاستشهاد لقواعد اللغة العربية، ومسائلها النحوية والصرفية، وعلومها البلاغية (المعاني والبيان والبديع).

المطلب الأول: بلاغة إيثار حروف المباني في الحديث القدسي:

حروف المباني في الحديث القدسي هي الحروف التي تتكون منها كلماته، وتبدو بلاغة استعمال هذه الكلمات التي آثرتها السياقات الحديثية على غيرها عند تأمّل دلالات الألفاظ ومناسبتها للسياق،

---

(9) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية 18/ 157، فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر 2/ 523، مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للمباركفوري 1/ 155، الحديث في علوم القرآن والحديث، حسن محمد أيوب 175.

(10) انظر: الكليات للكفوي 722/1، قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث للقاسمي 64-69، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، د/ محمد دراز 11، 12، الحديث النبوي: مصطلحه، بلاغته، كتبه، د/ محمد الصباغ 154، 155.

(11) الفائق في غريب الحديث للزمخشري 1/ 11.

وكذلك بالنظر لدلالات حروف المبنى (الأصوات) التي تتألف وتنتظم منها تلك الكلمات، إذ إنّ هذه الحروف لها أثر كبير في تصوير المعاني البليغة التي تفيدها ألفاظ الحديث القدسي.

وهذا التخيّر اللغوي وارد بكثرة في الأحاديث القدسية، ولعلّ الوقوف مع بعض نماذجه يجلّي خصائص اللفظ المستعمل فيها، وسرّ الإيثار لحروفه التي بُني منها دون غيرها.

* فعن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: "أَنَّ رَجُلاً كان قَبْلَكُمْ رَغَسَهُ الله مَالاً، فقال لِبَنِيهِ لَمَّا حُضِرَ: أَيَّ أَبٍ كنت لَكُمْ؟ قالوا: خَيْرَ أَبٍ. قال: فَإِنِّي لم أَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فإذا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي ثُمَّ اسْحَقُونِي ثُمَّ ذَرُّونِي في يَوْمٍ عَاصِفٍ. فَفَعَلُوا فَجَمَعَهُ الله ِ فقال: ما حَمَلَكَ؟ قال: مَخَافَتُكَ. فَتَلَقَّاهُ بِرَحْمَتِهِ"[12].

وفي هذا الحديث القدسي يلحظ المتأمّل ألفاظاً ذات دلالة مؤثّرة بحروفها التي تركّبت منها دون غيرها، وكيف كانت منسجمة مع ما تبعثه من المعاني المناسبة لسياق تلك القصة العجيبة، ومن ذلك الكلمات التالية: (رغسه)، (اسحقوني)، (ذرّوني).

فكلمة (رغسه) التي وردت في جملة " أَنَّ رَجُلاً كان قَبْلَكُمْ رَغَسَهُ الله مَالاً" هي من (رغس)، ومعنى الرغس العطاء الواسع الكثير من المال والولد.

جاء في (غريب الحديث) لابن سلام: "(رغس) وقال أبو عبيد: في حديثه عليه السلام: أنّ رجلاً رغسه الله مالاً . قال الأموي : رغسه: أكثر له منه وبارك له فيه. قال أبو عبيد: يقال منه: رغسه الله يرغسه رغساً، إذا كان ماله نامياً كثيراً، وكذلك في الحسب وغيره" [13].

وفي (تفسير غريب ما في الصحيحين) للحميدي: "الرغس البركة والنماء والخير، رغسه الله مالاً أي أعطاه إياه وبارك له فيه، ويقال: الرغس النعمة" [14].

وفي (الفائق) للزمخشري: "الرغس والرغد نظيران في الدلالة على السّعة والنّعمة يقال: عيش مرغّس أي منعّم واسع، وأرغد القوم: إذا صاروا في سعة ونعمة" [15].

ومن هذه المعاني التي تفيدها كلمة (الرغس) كالنعمة الواسعة والخير الكثير والعطاء المتنامي تتبين مناسبتها لسياق الحديث الذي يصف حال ذلك الرجل الثّري من بني إسرائيل صاحب القصة الغريبة، فأوثر وصفه في الحديث بأعلى مواصفات النعمة والبركة والخير والسّعة التي كان مرغوساً فيها، ومع ذلك لم يتبادر منه أيُّ شيء من أعمال الخير كما اعترف هو بذلك بين يدي أبنائه لدى موته، ولهذا كان خائفاً جداً من عذاب الله فطلب ما طلب وحصل ما حصل من تدارك رحمة الله له لخشيته من عقابه.

كما أنّ التأمّل في حروف مبنى كلمة (رغس) المعبّرة عن تلك الشخصية الثرية تعضد هذا المعنى الذي اقتضاه السياق الحديثي لَمّا اختار هذه الكلمة دون غيرها.

---

(12) صحيح البخاري 3 / 1282 رقم الحديث (3291).
(13) غريب الحديث لابن سلام 170/1، 171. وانظر: تهذيب اللغة للأزهري 67/8.
(14) تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم للحميدي 235، وانظر: لسان العرب لابن منظور 100/6.
(15) الفائق في غريب الحديث للزمخشري 68/2. وانظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير 238/2.

جاء في (سر صناعة الإعراب) لابن جنّي: "الراء حرف مجهور مكرر" و "الغين حرف مجهور مستعل" و "السين حرف مهموس"[16].

إنّ أصوات الراء الجهورة والغين الجهورة والمستعلية مع السين المهموسة تشكّل وحدة منسجمة لأداء المعنى المطلوب إيصاله من كلمة الرّغس؛ فحيث دلّت الحروف الأولى من الكلمة (الراء والغين) بما فيها من قوّة وجهر على اتساع النعمة وتنامي العطاء والثراء للرجل ختمت الكلمة بحرف (السين)، وكأنّها تهمس في أذن المتلقي بغاية الثراء ومبلغ الغنى والرخاء والخلود للراحة والترف الذي استغشى ذلك الرجل الممتنع عن فعل الخير في الدنيا، لكن أدركته قبل موته الخشية والخوف من لقاء الله وحسابه فرحمه ربُّه.

وأما الكلمات: (اسحقوني) و (ذرّوني) اللتان وردتا في الحديث: " فإذا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي ثُمَّ اسْحَقُونِي ثُمَّ ذَرُّونِي في يَوْمٍ عَاصِفٍ" فهما من (سحق) و (ذرى).

فكلمة (سحق) معناها الدقّ الشديد، وهو دقّ وطحن أقوى من السحك والسهك، وليست بمعنى واحد، كما في (النهاية في غريب الحديث) لابن الأثير: "وفي حديث المحرّق إذا متّ فاسحكوني أو قال فاسحقوني، هكذا جاء في رواية، وهما بمعنى، ورواه بعضهم اسهكوني بالهاء، وهو بمعناه" [17].

وفي (حاشية السندي على سنن النسائي): "اسحقوني قيل روى اسحكوني واسهكوني، والكلّ بمعنى، وهو الدّق والطحن" [18].

بل إنّ السّحق دقّ وطحن فيه شدّة، جاء في (لسان العرب): "سحق الشيء يسحقه سحقاً دقّه أشدّ الدقّ، وقيل السّحق الدّق الرقيق، وقيل هو الدّق بعد الدّق" [19].

ولعلّ مما يؤيّد معنى شدّة السّحق ما نقله ابن حجر في (فتح الباري) قال: " ووقع في رواية أبي عوانة اسحقوني بغير شك، والسهك بمعنى السحق، ويقال هو دونه" [20].

وأما كلمة (ذرا) في قول الرجل: "ثُمَّ ذَرُّونِي في يَوْمٍ عَاصِفٍ" فهي من "ذرت الرّيح التراب وغيره تذروه وتذريه ذرواً وذرياً وأذرته وذرته: أطارته وسفته وأذهبته .... وهما لغتان: ذرت الريح التراب تذروه وتذريه أي طيّرته، .... وفي التنزيل العزيز: (والذاريات ذرواً) يعني الرياح، وقال في موضع آخر : (تذروه الرياح) .... وأذريتَ الشيء إذا ألقيتَه مثل إلقائك الحبّ للزرع" [21].

ولعلّ من أهم أسرار التعبير بلفظتي (اسحقوني) و (ذروني) وإيثار استعمالهما في هذا الحديث هو الدلالة على شدّة خوف الرجل ووجله من الله تعالى بعد اعترافه وإقراره بعدم فعله الخير أبداً قبل موته، وفزعه وخشيته من حساب الله وعقابه، فهو لم يوص أبناءه أن يحرقوه فحسب بل طلب منهم سحقه وهو الطحن والدقّ الشديد له -كما سبق- ثم إطارته وسفّه وإلقاءه ليتفرّق تفرّقاً هائلاً مع حركة

---

(16) سر صناعة الإعراب لابن جنّي 191/1، 243/1، 197/1.
(17) النهاية في غريب الحديث والأثر 347/2.
(18) حاشية السندي على سنن النسائي 112/4.
(19) لسان العرب 152/10.
(20) فتح الباري 11/ 314.
(21) لسان العرب 282/14، 283.

الهواء الشديد مؤكّداً ذلك بقوله: "في يوم عاصف"، كلّ هذا السياق الحديثي ينادي على معنى بلوغ الغاية في هلع الرجل وخشيته العظيمة من لحظة لقاء الله ومقابلة مولاه.

كما لا يخفى ما يشير إليه إيثار هذه الكلمات المصوّرة لحال ذلك الرجل من معنى بديع وجليل، وهو كمال قدرة الله ونفوذ قهره وسلطانه تعالى على جميع مخلوقاته.

قال ابن حجر: "وفيه عظم قدره الله تعالى أنْ جمع جسد المذكور بعد أن تفرّق ذلك التفريق الشديد" [22].

وإذا أنعمت النظر أيضاً في حروف مبنى كلمتي (السحق) و (الذرو) وجدت تلك المعاني حاضرة في تضاعيف هذه الأصوات التي تتألف منها الكلمتان.

تأمّل حروف (سحق) تجدها مكوّنة من "السين حرف مهموس" و "الحاء حرف مهموس" و "القاف حرف مجهور" [23]. ففي حروف الهمس دلالة على كثرة الأجزاء الصغيرة والخفيفة والمتفرقة الناتجة من الدقّ، وسهولة تناثرها وسرعة اختفاءها بعد رميها، وفي حرف الجهر إشارة لشدّة الدقّ والطحن قبل الإلقاء في يوم عاصف.

ثم لما تتأمّل حروف (ذرّو) تجدها مكوّنة من "الذال حرف مجهور" و "الراء حرف مجهور مكرر" و "الواو حرف مجهور" [24]، كما تجد أنّ في بناء هذه الكلمة من حروف الجهر والتكرار مع تشديد (الراء) إشعاراً بشدّة الرّمي والتفريق لذلك المسحوق بشدّة أيضاً، مع إشارة لتكرّار ذلك الدّفع المتزامن والمتدرّج حسب حركة الرّيح، وأنّ قوّة دفعه ليطيره مع الهواء، وقد تصاحب ذلك مع هواء شديد الحركة. والله أعلم.

* وعن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال:

"يُدْخِلُ الله أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ يُدْخِلُ من يَشَاءُ بِرَحْمَتِهِ وَيُدْخِلُ أَهْلَ النَّارِ النَّارَ ثُمَّ يقول: انْظُرُوا من وَجَدْتُمْ في قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ من خَرْدَلٍ من إيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرَجُونَ منها حُمَمًا قد امْتَحَشُوا فَيُلْقَوْنَ في نَهَرِ الْحَيَاةِ أو الْحَيَا فَيَنْبُتُونَ فيه كما تَنْبُتُ الْحِبَّةُ إلى جَانِبِ السَّيْلِ أَلَمْ تَرَوْهَا كَيْفَ تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً " [25].

هذا الحديث القدسي يصوّر رحمة الله بعباده.

وفيه يلحظ المتأمّل كلمات دلالية مختارة بعناية، ومؤثّرة بأصواتها المركّبة منها بدّقة، إلى جانب تناسبها البليغ مع سياق مشهد العظمة والكرم واللطف الذي يحكي حدثاً عظيماً من صور رحمة الله اللطيف بعباده، ومن تلك الكلمات المؤثرة في رسم هذا المشهد العظيم: (خردل)، (حمم)، (امتحشوا)، (الحيا)، (الحبّة)..

---

[22] فتح الباري 11/ 315.
[23] سر صناعة الإعراب لابن جنّي 197/1، 179/1، 277/1.
[24] المصدر السابق 189/1، 191/1، 573/2.
[25] صحيح مسلم 1 / 172 رقم الحديث (184).

فكلمة (خردل) وردت في عبارة الحديث: "انْظُرُوا من وَجَدْتُمْ في قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ من خَرْدَلٍ من إيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ"، "وأصل الخردلة التفريق والتقطيع" [26]..

وجاء في (القاموس):"خردل الطعام: أكل خياره...، واللحم: قطّع أعضاءه وافرة أو قطّعه وفرّقه. ولحم خراديل: مخردل. والمخردل: المصروع. والخردل: حبّ شجر..."[27].

ولا تخفى بعد إنعام النظر بلاغةُ إيثار كلمة (الخردل) وحروفها في الحديث للتعبير عن أقلّ مقدار من الخير الذي قد يوجد في قلب المؤمن فينقذه من النّار، مع مناسبتها لما جاورها في سياق النظم الحديثي، فقبلها لفظ (حبّة) يعني واحدة، مع دخول حرف الجر (من) التي للتبعيض، ولم يقل: (حبّة خردل)، ثم تنكير لفظ الإيمان: (خردل من إيمان)، إلى جانب أمر الرحمن ™ بقوله: (انظروا) في بداية الكلام، ثم أمره في آخر الكلام المعطوف عليه بفاء التعقيب: (فأخرجوه)، وكأنّ المعنى: انظروا من كان هذا حاله من أهل النار فعلى الفور أخرجوه منها..

إنّ كلّ هذه المكوّنات اللغوية التي تركبت منها عبارة الحديث القدسي تلك تنادي على تصوير سعة رحمة الله وكريم عفوه وغفرانه، وحينها يتخيّل المتلقي للحديث تلك الخزائن المفتوحة أبوابُها من ربّ غفور في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، مع رسم أعظم مظاهر العطاء الربّاني والكرم الإلهي، فهنا عتقٌ من النار وخروج منها ثم دخول وخلود في الجنة بعد النظر في أقل مبرّرات ذلك الانتقال المصيري من العذاب الأليم إلى النعيم المقيم حسب المعادلة التالية : (انظروا= مثقال-حبة-من-خردل-من-إيمان =فأخرجوه).

ثم تستمر الكلمات المؤثّرة بمادتها وأصواتها المبنية منها، فقد وردت في عبارة الحديث: "فَيُخْرَجُونَ منها حُمَمًا قد امْتَحَشُوا فَيُلْقَوْنَ في نَهَرِ الْحَيَاةِ أو الْحَيَا"، ومعنى (الحمم) الفحم، ومعنى (امتحشوا) احترقوا، ومعنى (الحيا) الغيث النازل من السماء [28].

وجاء في (تفسير غريب ما في الصحيحين) للحميدي: "(امتحشوا) أي احترقوا، يقال: امتحش الخبز أحرق، وقيل: المحش ما يتناولهم من اللهب فيحرق الجلد ويبدي العظم. حكاه الهروي وغيره (ماء الحياة) التي نحيا بها حياة أبدية لا موت معها، ويقال: إنه عين في الجنة" [29].

وهنا تلتقي هذه العبارة من الحديث القدسي بسابقتها ليكتمل بناء الصورة الفنية التي يتجلّى في طياتها سمو تلك الرحمة الواسعة التي تفضّل بها الله على عتقاءه من النار، إنّ أولئك العتقاء الذين أظلتهم رحمة الله ونجّاهم لطفه وكرمه فأمرَ - وهو العالم بحالهم - أن تنظر الملائكة لمن يوجد في قلبه أقلّ شيء من إيمان ليخرجوه من النار إنهم لمخرجون فوراً.

نعم يخرج عتقاء الرحمن من النار بعد أن احترقوا وصاروا فحماً بل (حمماً قد امتحشوا)، وهذه الكلمات البليغة أوثرت في الحديث للتعبير بوقعها الصوتي عن شدّة حرارة النار التي كانوا فيها مع شدّة احتراقهم بلهبها، ولكن أدركتهم رحمة ربهم فأعتقهم من النار وأمر بإخراجهم إلى الجنة، وعندها (يلقون في نهر الحياة أو الحيا)، وهنا مشهد آخر لكرم العزيز الكريم اختيرت ألفاظه كذلك، إنّ أولئك

---

[26] تفسير غريب ما في الصحيحين 295، وانظر: الفائق في غريب الحديث 4/ 38.
[27] القاموس المحيط 1282.
[28] انظر: تهذيب اللغة 4/ 14، 116، مقاييس اللغة 2/ 23، 2/ 122، 4/ 403.
[29] تفسير غريب ما في الصحيحين 295. وانظر: الفائق في غريب الحديث 4/ 38، النهاية في غريب الحديث والأثر 4/ 302.

المحترقين يوضعون في نهر الحياة أو الحيا وهو الماء، وذلك ليحيون به كما تحيا الأرض بالغيث النازل من السماء، ولاحظ مناسبة استعمال (الحياة) أو (الحيا) مع (النهر) في سياق ذكر إحياء أولئك المحترقين .

وبعد هذا الإكرام لأولئك العتقاء تأتي صورة جديدة وسريعة من صور توالي كرم المولى ﷻ، وهي مشهد عتقاء الله الذين أحرقتهم النار لَمّا يخرجون ويُلقون في نهر(الحياة) أو (الحيا) ماذا يحصل لهم حينئذ؟ إنهم ينبتون على الفور، كما يدلّ العطف بالفاء: "فَيَنْبُتُونَ فيه كما تَنْبُتُ الْحِبَّةُ إلى جَانِبِ السَّيْلِ أَلَمْ تَرَوْهَا كَيْفَ تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً".

جاء في (النهاية) لابن الأثير: "وفي حديث أهل النار: (فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل) الحِبّة بالكسر: بزور البقول وحبّ الرياحين. وقيل هو نبت صغير ينبت في الحشيش. فأما الحَبّة بالفتح فهي الحنطة والشعير ونحوهما" [30].

و"(حميل السيل) هو كل ما حمله السيل، وكل محمول فهو حميل فعيل بمعنى مفعول، كما يقال: قتيل بمعنى مقتول، ويقال: حميل السيل كل ما حمله السيل من طين أو غثاء، فإذا اتفق فيه الحبّة واستقرّت على شطّ مجرى السيل نبتت في يوم وليلة، وهي أسرع نابتة نباتاً، وإنما أخبر بسرعة نباتهم وتعجيل خلاصهم وقرب رجوع نضارتهم" [31].

ولا شكّ أنّ من أسرار إيثار تلك الألفاظ والحروف في هذا الحديث القدسي هو الإشعار والإيذان بكمال قدرة الله وعظيم سلطانه واتساع رحمته وغفرانه، حيث يخرج أولئك العتقاء من النار -بعد شدّة احتراقهم حتى صاروا فحماً- لما أتى أمرُ الرحمن بإخراجهم بسرعة وغمسهم في نهر الحياة أو الحيا الذي يغيثهم بماءه، وبسرعة هائلة ينبتون ويحيون كما تحيا الأرض بنزول الماء عليها وهكذا تعود لهم نضارتُهم، مع ما في ذلك من دلالات الترغيب والترهيب، بالحذر من طريق النار والاجتهاد في سبيل الجنة.

قال النووي في (شرح صحيح مسلم): "أما (الحمم) فتقدّم بيانه في الباب السابق، وهو بضم الحاء وفتح الميم المخففة، وهو الفحم، وقد تقدّم فيه بيان (الحبة) و (النهر)، وبيان (امتحشوا) وأنه بفتح التاء على المختار، وقيل بضمها، ومعناه احترقوا، وقوله (الحياة) أو (الحيا) هكذا وقع هنا وفي البخاري من رواية مالك، وقد صرح البخاري في أول صحيحه بأنّ هذا الشك من مالك، وروايات غيره (الحياة) بالتاء من غير شك، ثم إنّ (الحيا) هنا مقصور، وهو المطر سُمّي حيا لأنه تحيا به الأرض، ولذلك هذا الماء يحيا به هؤلاء المحترقون وتحدث فيهم النضارة كما يحدث ذلك المطر في الأرض، والله أعلم" [32].

ومن الملاحظ عند تحليل حروف المباني لكلمات هذا الحديث القدسي المشعرة بتلك الدلالات البلاغية المتقدّمة، تجد أنّ أصواتها ساهمت أيضاً في أداء تلك المعاني.

فإنّك إذا أنعمت النظر في كلمات الحديث: (خردل) و (حمم) و (امتحشوا) من (محش) و (الحيا) و (الحبّة) تجد أنّ مكوناتها الصوتية هي: الخاء وهي حرف مهموس، والراء وهي حرف

---

(30) **النهاية في غريب الحديث والأثر 1/ 326.**
(31) **تفسير غريب ما في الصحيحين 295.**
(32) **شرح النووي على صحيح مسلم 3 / 36، 37.**

مجهور مكرر، والدال وهي حرف مجهور، واللام وهي حرف مجهور، والحاء وهي حرف مهموس، والميم وهي حرف مجهور، والشين وهي حرف مهموس، والياء وهي حرف مجهور، والباء وهي حرف مجهور، والتاء وهي حرف مهموس [33].

وتجد أنه بالتأمّل في حروف كل واحدة من ألفاظ الحديث القدسي تبدو مناسبتها لما تقدّم من دلالات معنوية منسجمة مع السياق الحديثي، فكلمة (خردل) بدأت بحرف الهمس المشعر بتسهيل الغرض وتيسير المقدار المؤذن بالعتق من جهنم بإذن الله، ثم تواترت عليها حروف الجهر وهذا مناسب لمعنى التفريق والتقطيع للخردلة، فأي قطعة أو جزء من إيمان في قلب أحد من أهل النار كفيلة بفضل الله بإخراجه منها فيكون من عتقاء الرحمن.

وأما الكلمتان (حمم) و (امتحشوا) اللتان في وصف عتقاء الله من النار حين يخرجون منها، فقد غلبت على إحداهما وهي (حمم) حروف الجهر وهي الميمات المتوالية التي تؤذن بحجم استحالتهم فحماً بعد افتتاح الكلمة بالحاء الهامسة ببشرى الخروج من النار وسط عتقاءها الهامدين من الاحتراق، في حين اكتنفت الأخرى (امتحشوا) من (محش) حروفُ الهمس المشعرة بسكونهم وضعفهم بعد احتراق جلودهم بلهيب النار حتى ظهر العظم، مع إشارة لشدة الاحتراق بالجهر في حرف (الميم) في أول الكلمة، ثم بصيغة (الامتحاش).

أما الكلمتان (الحيا) و (الحبّة) فقد انتظمتا في سياق وصف إحياء الله لعتقاءه من النار، وذلك بعد إلقاءهم في نهر الحياة أو (الحيا) وهو الغيث النازل من السماء، فينبتون فيه كما تنبت (الحبّة) وهي بذرة الزرع إلى جانب السيل، وهنا تلحظ حرف الهمس (الحاء) كيف أشعر بقطرات ماء (الحيا) الناعمة وهي تبلل وتلامس أولئك العتقاء لتغيثهم بما أفاء الله عليهم عندما ألقوا في نهر الحياة أو (الحيا) العظيم بما دلّ عليه الجهر في حرف (الياء)، فينبتون كـ (الحبة) وهي النبت الصغير حسبما يعرب عنه الهمس في حروف (الحاء) و (التاء) ولكنها تصبح نبتاً كبيراً مناسباً للجهر في حرف (الباء)، والله أعلم.

المطلب الثاني: بلاغة إيثار حروف المعاني (حروف الجرّ) في الحديث القدسي:

حروف الجر هي من أكثر حروف المعاني المستعملة في بناء الجملة والتي تتعدّى بها الأفعال، وتبدو بلاغة استعمال حروف الجر التي آثرتها سياقات نظم الحديث على غيرها عند النظر في مناسبتها للمقام، وفي مراعاتها عند تركيب الكلام، فحروف الجر لها أثر عظيم ودلالات كبيرة تنشأ من اختيارها وارتباطها بأفعال الحديث القدسي.

وإذا كانت حروف الجر واردة بكثرة في الأحاديث القدسية وغيرها، فما يعنينا هنا هو الوقوف مع نماذج من اختيار هذه الحروف وتجلية أسرار البلاغة من وراء استعمال بعضها دون بعض، وإيثارها على غيرها في انسجام دلالي مع أفعال الحديث القدسي.

* فعن قَتَادَةَ عن أَنَسٍ رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: " يَجْمَعُ الله الناس يوم الْقِيَامَةِ فَيَقُولُونَ لو اسْتَشْفَعْنَا على رَبِّنَا حتى يُرِيحَنَا من مَكَانِنَا فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ أنت الذي خَلَقَكَ

[33] انظر: سر صناعة الإعراب لابن جنّي 1/ 119، 145، 179، 183، 185، 191، 205، 321، 413، 2/ 729.

الله بيده وَنَفَخَ فِيكَ من رُوحِهِ وَأَمَرَ الْمَلائِكَةَ فَسَجَدُوا لك فَاشْفَعْ لنا عِنْدَ رَبِّنَا فيقول: لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ ..."[34].

هذا الحديث القدسي في سياق تصوير حال الناس يوم القيامة وطلبهم الشفاعة من الأنبياء عليهم السلام عند الله عزوجل، وغايتهم من ذلك الراحة والرحمة من عناء ذلك الموقف الرهيب وهول ذلك المقام العظيم، يوم يقوم الناس لربّ العالمين، فيذهبون لنبي الله آدم عليه السلام ورسلاً بعده وكلٌّ منهم يقول للناس: (لست هناكم)، ويذكر خطيئته ويرشدهم أن يذهبوا لغيره من الأنبياء إلى أن يأتوا نبينا رسول الله محمداً صلى الله عليه وسلم فيشفع لهم.

يلحظ المتأمّل في هذا الحديث القدسي إيثار استعمال حرف الجر (على) في سياق كلام الناس يوم البعث في موقفهم العظيم: "فَيَقُولُونَ لو اسْتَشْفَعْنَا على رَبِّنَا حتى يُرِيحَنَا من مَكَانِنَا" فهنا الفعل (استشفع) وهو غالباً في اللغة يتعدّى بـ (إلى)، فأوثر في هذا السياق الحديثي تعديته بـ (على). والأصل في استعمال (على) معنى الاستعلاء.

جاء في (مغني اللبيب): "الاستعلاء إما على المجرور وهو الغالب نحو: (وعليها وعلى الفلك تحملون) أو على ما يقرب منه نحو: (أو أجد على النار هدى)....وقد يكون الاستعلاء معنوياً نحو: (ولهم عليّ ذنب) ونحو: (فضّلنا بعضهم على بعض)" [35] .

وقد ذهب العلماء وشرّاح الحديث في توجيه هذا التعبير اللغوي إلى تضمين الفعل (استشفع) معنى الفعل (استعان) الذي يتعدى بحرف الجر (على).

قال العكبري: "وأما قوله: (على ربّنا) فهو عدّى (استشفعنا) بـ (على)، وهي في الأكثر تتعدى بـ (إلى) لأنّ معنى (استشفعت): توسّلت فيتعدى بـ (إلى)، ومعناها أيضاً استعنت، وهذا الفعل يتعدى بـ (على)، ومعناها أيضاً تحمّلت، يقال: استشفعت إليه، واستعنت، وتحمّلت عليه، بمعنى واحد، ومن هذا قول الشاعر:

إذا رضـــيت علـــيّ بنـــو قشـــير - لعمـــر أبيـــك - أعجبنـــي رضـــاها

فعدّاه بـ (على) . قال أبو عبيدة : إنما ساغ ذلك لأنّ معناه : أقبلت علي " [36].

وجاء في (مشارق الأنوار) للقاضي عياض:

"وقوله في حديث أبي كامل: (لو استشفعنا على ربّنا) ويروى (إلى ربنا) كما جاء في غيره. ومعنى (على ربّنا) أي استعنا عليه بشفيع" [37].

وقال العيني في (عمدة القاري): "قوله : (على ربّنا) في رواية هشام وسعيد : (إلى ربّنا)، وضمّن (على) هنا معنى الاستعانة . أي: لو استعنا على ربّنا" [38].

---

[34] صحيح البخاري 5 / 2401 رقم الحديث (6197).
[35] مغني اللبيب لابن هشام 1/ 190.
[36] إعراب ما يشكل من ألفاظ الحديث النبوي للعكبري 29، 30.
[37] مشارق الأنوار على صحاح الآثار 2/ 85.
[38] عمدة القاري شرح صحيح البخاري 23/ 126.

والذي يبدو لي -بناء على عدم القول بنيابة حروف الجر ولا بالتضمين في الأفعال وأنّ لكلّ حرف أو فعل في لغة البيان العالي معناه الخاص ودلالته المناسبة لسياقه- هو أنّ حرف الجر (على) إنما أتى على بابه في أصل استعماله لمعنى الاستعلاء، وأنّ الفعل (استشفعنا) جاء على معناه في طلب الشفاعة من الأنبياء عند الله وليس بمعنى (استعنا).

وفي هذا إفادة وتحقّق للغرض البلاغي من إيثار حرف الجر (على) دون (إلى) مع الفعل (استشفع) دون (استعان)، ولعلّ ذلك يتجلّى -والله أعلم- في أمرين:

الأمر الأول: هو مناسبة معنى الاستعلاء في (على) لمعنى المقام العالي في فعل الشفاعة الذي تعدّى بها دون فعل الاستعانة، وذلك المقام العالي هو مقام ربّهم الذي تكون الشفاعة عنده للناس من الأنبياء في يوم عظيم، وفي ذلك إشعار عظيم بحاجة الناس يوم القيامة للوصول لرضى ربّهم كي يريحهم من عناء الموقف باستعانته سبحانه المستلزَمة من الشفاعة - فالشفاعة عند الله تكون بعد الاستعانة به تعالى- ثم بشفاعة أنبيائه.

ومن المعلوم أنّ الشفاعة عند الله لا تتم إلا بعد إذنه ورضاه تعالى، قال تعالى: **سمح**مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ**سجى** [البقرة: ٢٥٥]، وقال سبحانه: **سمح**يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ١٠٩**سجى** [طه: ١٠٩]، وقال جلّ شأنه: **سمح**وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ**سجى** [الأنبياء: ٢٨]، وقال تعالى: **سمح**وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ**سجى** [سبأ: ٢٣]

وهكذا يكون فعل الشفاعة الذي تعدّى بحرف الجر (على) في الحديث: "اسْتَشْفَعْنَا على رَبِّنَا" مناسب لمعنى الاستعلاء وشامل لفعل الاستعانة.

الأمر الآخر: التصوير البليغ لحاجة أهل المحشر الشديدة للشفاعة التي يطلبونها من الأنبياء عند ربّهم في ذلك المقام العظيم حين يجمع الله الناس يوم القيامة ويشاهدون هول الموقف رأي العين. ولذلك جاء في السياق نفسه: "فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ أنت الذي خَلَقَكَ الله بيده وَنَفَخَ فِيكَ من رُوحِهِ وَأَمَرَ الْمَلائِكَةَ فَسَجَدُوا لك فَاشْفَعْ لنا عِنْدَ رَبِّنَا".

ولا تخفى دلالة حرف (لو) وصيغة الاستفعال: (لو استشفعنا) على رجائهم العظيم وطلبهم الكبير لتحصيل الراحة والرحمة والاطمئنان في ذلكم المشهد، ولذلك ذكر أنهم يقولون: "لو اسْتَشْفَعْنَا على رَبِّنَا حتى يُرِيحَنَا من مَكَانِنَا"، وفي هذا التصوير العالي للمشهد العظيم مناسبة لدلالة الاستعلاء في حرف الجر (على)، والله أعلم.

وقد فطن العيني في (عمدة القاري) إلى أهمية الحذف وأثره في ذهاب الأذهان لتصور رهبة الموقف فقال: "قوله : (لو استشفعنا) جزاؤه محذوف أو هو للتمنّي فلا يحتاج إلى جواب، وفي رواية مسلم: فيلهمون بذلك، وفي رواية: فيهتمون بذلك، وفي رواية همام: حتى يهتموا بذلك ... قوله: (حتى يريحنا) بضم الياء من الإراحة بالراء والحاء المهملة، أي: يخرجنا من الموقف وأهواله وأحواله ويفصل بين العباد" [39].

[39] **عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني 23/ 126.**

* وعن أَنَسِ بن مَالِكٍ قال: كان أبو ذَرٍّ يحدّث أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال: فُرِجَ عن سَقْفِ بَيْتِي وأنا بِمَكَّةَ فَنَزَلَ جِبْرِيلُ فَفَرَجَ صَدْرِي ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ ثُمَّ جاء بِطَسْتٍ من ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا فَأَفْرَغَهُ في صَدْرِي ثُمَّ أَطْبَقَهُ ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ بِي إلى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فلما جِئْتُ إلى السَّمَاءِ الدُّنْيَا قال جِبْرِيلُ لِخَازِنِ السَّمَاءِ: افْتَحْ قال: من هذا؟ قال: هذا جِبْرِيلُ قال: هل مَعَكَ أَحَدٌ؟ قال: نعم مَعِي مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم فقال: أُرْسِلَ إليه؟ قال: نعم فلما فَتَحَ عَلَوْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا ..." [40].

هذا الحديث القدسي في سياق تصوير حدث عظيم حصل لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وهو نزول جبريل ' وشق صدر الرسول صلى الله عليه وسلم وغسله بماء زمزم وإفراغ الحكمة والإيمان فيه وإطباقه، ثم عروج الرسول صلى الله عليه وسلم مع جبريل ' إلى السماء الدنيا.

ويلحظ المتأمّل في هذا الحديث القدسي إيثار استعمال حرف الجر (عن) في سياق هذا الحدث الرهيب: "فُرِجَ عن سَقْفِ بَيْتِي وأنا بِمَكَّةَ فَنَزَلَ جِبْرِيلُ"، ففي هذا المشهد من الحديث استعمل الفعل (فُرج) وهو يتعدّى بحرف الجر (في).

ومعنى (فرج عن سقف البيت) أي شق وفتح فيه، جاء في عمدة القاري شرح صحيح البخاري: "قَوْله: (فرج عَن سقف بَيْتِي)، بِضَم الْفَاء وَكسر الرَّاء وبالجيم أَي: فتح فِيهِ فتح، وَرُوِيَ: (فشق) ..."([41]) .

وإذا كان (فرج) يتعدّى بحرف الجر (في) التي للظرفية فقد أوثر في هذا الحديث القدسي تعدية هذا الفعل بحرف الجر (عن)، والأصل في استعمال (عن) معنى المجاوزة.

قال ابن هشام: "وَجَمِيع مَا ذكر لَهَا عشرَة معَان، أَحدهَا الْمُجَاوزَة وَلم يذكر البصريون سواهُ، نَحْو: سَافَرت عَن الْبَلَد، ورغبت عَن كَذَا، ورميت السهْم عَن الْقوس"([42]).

ويبدو لي -والعلم عند الله- بناء على ما سبقت الإشارة إليه من عدم القول بنيابة حروف الجر ولا بالتضمين في الأفعال وأنّ لكلّ حرف أو فعل دلالته الخاصة المنسجمة مع ما يقتضيه المقام- أنّ حرف الجر (عن) في الحديث على معناه الأصلي وهو المجاوزة، وليس بمعنى حرف الجر (في) التي للظرفية.

وقد استودع هذا التعبير الحديثي سراً بلاغياً أفاده إيثار (عن) دون (في)، وهو المشاركة في تصوير واستحضار مشاهد القصة ومفاجآتها الرهيبة المحكية في هذا الحديث القدسي، والتي بدأت تفاصيلها العجيبة بمشهد نزول جبريل ' لغسل صدر الرسول صلى الله عليه وسلم عن طريق فتح سقف البيت وشقه للدخول منه دون الباب، وكأنّ دلالة المجاوزة في (عن) توحي بمجاوزة باب البيت إلى السقف: "فُرِجَ عن سَقْفِ بَيْتِي وأنا بِمَكَّةَ فَنَزَلَ جِبْرِيلُ"، وهذا إنما كان لحِكَم بليغة، مع مناسبة ذلك لمشاهد الحديث المتوالية: (شق الصدر) و (العروج إلى السماء).

"والحكمة في أنّ المَلَك انصب إليه من السماء انصبابة واحدة، ولم يعرج على شيء سواه مبالغة في المناجاة، وتنبيهًا على أن الطلب وقع على غير ميعاد. ويحتمل أن يكون السر في ذلك التمهيد لما وقع من شَقّ صدره، فكأن المَلَكَ أراه بانفراج السقف، والتئامه في الحال، كيفية ما سيصنع به لُطفًا به

---

[40] صحيح البخاري 1 / 135 رقم الحديث (342).
[41] عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني 4/ 42.
[42] مغني اللبيب لابن هشام 1/ 196.

وتثبيتًا به. وقيل: الحكمة في نزوله عليه من السقف، الإشارة إلى المبالغة في مفاجأته بذلك، والتنبيه على أنّ المراد منه أن يعرج إلى جهة العلوّ"([43]).

كما أنه يتجلى في ذلك معنى الرسوخ واليقين في أداء هذه المهمة.

قال الشارح العيني: "وَالْحكمَة فِي دُخُول الْمَلَائِكَة من وسط السّقف وَلم يدخُلُوا من الْبَاب، كَون ذَلِك أوقع صدقاً فِي الْقلب فِيمَا جاؤا بِهِ"([44]) .

ويلحظ المتأمّل في هذا الحديث القدسي تعدية الفعل (فرج) بحرف الجر (عن) مع (سقف البيت): "فُرِجَ عن سَقْفِ بَيْتِي"، وتعدية الفعل (فرج) بنفسه مع (الصدر) "فَفَرَجَ صَدْرِي ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ"، وهو بمعنى الشق، جاء في (عمدة القاري): "قَوْله: (فَفرج صَدْرِي)، بِفَتْح الْفَاء وَالرَّاء وَالْجِيم، وَهُوَ فعل ماضٍ، أَي: شقَّه، ويروى: (شرح صدر)"([45]) .

وفي هذا -والله أعلم- دلالة أداء المهمة مباشرة وهي شق جبريل ’ لصدر الرسول صلى الله عليه وسلم، وبسهولة وبسرعة كما دلّت عليه فاء التعقيب أيضاً: "فَفَرَجَ صَدْرِي".

ولعل عامل الزّمن بما يدل عليه العطف بالفاء المفيدة للتعقيب "فَنَزَلَ جِبْرِيلُ" يشارك في ذلك المعنى الذي أفادته تعدية الفعل (فرج) بحرف الجر (عن) مع (سقف البيت) "فُرِجَ عن سَقْفِ بَيْتِي"، ويسهم في وصف مشاهد هذه الحادثة العجيبة، حيث يضفي دلالة السرعة والفورية في إنجاز مهمة الملائكة في دخول بيت الرسول صلى الله عليه وسلم وشق صدره وغسله بماء زمزم وإفراغ الحكمة والإيمان فيه وإطباقه، ثم عروج الرسول صلى الله عليه وسلم مع جبريل ’ إلى السماء الدنيا.

وفي هذا الأسلوب البليغ تعظيم شأن هذه الحكاية العجيبة التي وقعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة، وتصوير فنّي مؤثر للمعجزات التي يجريها رب العزة والجلال لأنبيائه تأييداً لهم، والإشارة إلى كمال عظمة قدرة الخالق تعالى الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وكذلك عظمة العناية الإلهية بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم..

ويلحظ في هذا الحديث القدسي أثر حروف العطف (الفاء) و (ثم) في سبيل مساندة هذه الدلالات والمعاني: "فُرِجَ عن سَقْفِ بَيْتِي وأنا بِمَكَّةَ فَنَزَلَ جِبْرِيلُ فَفَرَجَ صَدْرِي ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ ثُمَّ جاء بِطَسْتٍ من ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا فَأَفْرَغَهُ في صَدْرِي ثُمَّ أَطْبَقَهُ ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ بِي إلى السَّمَاءِ الدُّنْيَا"..

فعند تأمّل أحداث هذه القصة التي تقتضي سرعة أداء المهمات وإنجازها من الملائكة مع الرسول صلى الله عليه وسلم تجد الفعل ينعطف بحرف الفورية والتعقيب (الفاء).. تأمّل: (فُرِجَ عن سَقْفِ بَيْتِي وأنا بِمَكَّةَ فَنَزَلَ جِبْرِيلُ) (فَفَرَجَ صَدْرِي) .... (فَأَفْرَغَهُ في صَدْرِي) .... (فَعَرَجَ بِي إلى السَّمَاءِ الدُّنْيَا).

---

(43) كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري للشنقيطي 6/ 297.
(44) عمدة القاري شرح صحيح البخاري 4/ 42.
(45) عمدة القاري شرح صحيح البخاري 4/ 42.

بينما عند ملاحظة المشاهد التي تحتاج تُؤَدة وتريّث، ويستلزم كمالُ إنجازها زيادةَ وقت وامتداد أكثر في الزمن، يطالعنا هنا -في عطف الفعل- حرفُ التراخي (ثم).. انظر: (ثُمَّ غَسَلَهُ بماء زمزم) (ثُمَّ جاء بِطَسْتٍ من ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا) .. (ثُمَّ أَطْبَقَهُ) (ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي).

ولا يخفى ما في نظم هذا الحديث أيضاً من تكريم للرسول صلى الله عليه وسلم وتثبيت لفؤاده وهو في بداية طريق الدعوة إلى توحيد الله وعبادته سبحانه وتعالى، الأمر الذي ينادي عليه سياق الحديث القدسي: "فلما جِئْتُ إلى السَّمَاءِ الدُّنْيَا قال جِبْرِيلُ لِخَازِنِ السَّمَاءِ: افْتَحْ قال: من هذا؟ قال: هذا جِبْرِيلُ قال: هل مَعَكَ أَحَدٌ؟ قال: نعم مَعِي مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم فقال: أُرْسِلَ إليه؟ قال: نعم فلما فَتَحَ عَلَوْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا".

خاتمة الدراسة:

وبعد هذه الجولة السريعة والوقفات البديعة في نماذج مشرقة من الحديث القدسي توقّفنا فيها مع شواهد الإيثار البلاغي لحروف المباني وحروف المعاني (حروف الجر) يمكننا حصد بعض الثمرات اليانعة من نتائج البحث ولفتاته التي بدت في تضاعيفه وشعّت من بين سطوره، ومن ذلك ما يلي:

* تنوّع الحروف التي اكتنفتها كلمات نيّرات أوثرت عن غيرها في الحديث القدسي.

* يبدو السّياق بجلاء بالغ يحثّ السّير في اختيار تلك الحروف لمكانها المناسب وموقعها الملائم في شواهد الإيثار البلاغي من الأحاديث القدسية.

* تنامى ذلكم التنوّع في الحروف وذلكم الطّلب في السّياق في كلا أنواع حروف العربية، الأمر الذي طالعناه في شواهد حروف المباني، وصافحناه في حروف المعاني من خلال حروف الجرّ، كلّ ذلك في أحاديث قدسية جليلة.

* تميزت أساليب الأحاديث القدسية بصياغة وبلاغة يمكن القول أنها في منزلة بين بلاغة النظم القرآني الكريم وبلاغة بناء الأحاديث النبوية، وهو أمر منطقي جدًّا إذا تأملنا ما انتهى إليه العلماء في تحديد معنى الحديث القدسي الإلهي، فلفظٌ نطق به الرسول صلى الله عليه وسلم ليعبر به عن معنى إلهي لا بد وأن يشتمل على خصوصيات ليست لغيره من المعاني من سائر كلامه الشريف البليغ، ولذلك لا ينبغي لقائل أن يقول أن كثيرًا من أبنية هذه الأحاديث ليست مما عبّر به عليه الصلاة والسلام عن ربه فبمجرد ورودها في هذا السياق ودخولها حيّز المقام المقدس اقتضت هذا التخيّر الأسلوبي المشعّ والإيثار البلاغي الفريد، وهذا سر من أسرار إفراد العلماء لها في مؤلفات خاصة وإن صغرت، وهو في الحقيقة من الأمور التي لفتتني لدراستها من وجهة بلاغية.

* ظهرت خلال هذه الدراسة العدولية لشواهد الحديث القدسي أسرارٌ بلاغية ولطائف بيانية أبانت عن غرض إيثار حرف دون غيره، وكان الأكثر والأعظم مشاهدة وملاحظة هو أمران:

- تصوير كمال قدرة الله جلّ في علاه، واستحضار الصورة المشاهدة لجمال صنع الخالق المهيمن الجبار المتكبّر، وتمام جبروته وقهره وحصول أمره.

- الترغيب والترهيب، فمن أبلغ أسرار الحروف التي أوثرت في الحديث القدسي بكل أنواعها، تلك الصور التي تبهر المتلقي وتوقظ المخاطب بترغيبها وبترهيبها:

الترغيب والترهيب للمؤمنين في توبة عصاتهم ليلقوا خير الجزاء من ربّ رحيم كريم واسع المغفرة.

والترغيب والترهيب للكافرين في الإيمان والاهتداء وترك الضلال والفسوق والعصيان، وتحذير من اتبع هواه وضلّ عن الصراط المستقيم جرّاء ذلك مما توعدهم الجبار المنتقم من الويل والعذاب المهين.

ثبت المصادر والمراجع:

- أثر اللغة في اختلاف المجتهدين، الدكتور عبدالوهاب عبدالسلام طويلة، دار السلام، القاهرة، الطبعة الثانية، 1420 هـ.

- الأحاديث القدسية من الصحيحين باختلاف الروايات والألفاظ، الشيخ عرفان بن سليم العشا حسّونة الدمشقي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، 1423 هـ.

- إعراب ما يشكل من ألفاظ الحديث النبوي، الشيخ الامام أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، تحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى.

- التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1405 هـ.

- تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي الحميدي، تحقيق: الدكتورة زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة الأولى، 1415 هـ.

- تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 2001م.

- الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي، تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة، الأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1413هـ.

- حاشية السندي على النسائي، أبو الحسن نور الدين بن عبدالهادي السندي، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية، 1406 هـ.

- الحديث في علوم القرآن والحديث، حسن محمد أيوب، دار السلام، الإسكندرية، الطبعة الثانية، 1425هـ.

- الحديث النبوي: مصطلحه-بلاغته- كتبه، الدكتور محمد بن لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، عمّان، الطبعة الثامنة، 1424 م.

- حروف المعاني، الدكتور سليمان معوّض، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس لبنان، 2008م.

- حروف المعاني وعلاقتها بالحكم الشرعي، الدكتور دياب عبدالجواد عطا، دار المنار، القاهرة، الطبعة الثانية، 1421 م.

- سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان ابن جنّي، تحقيق: الدكتور حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، 1405 م.

- صحيح مسلم بشرح النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، 1392 م.

- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- غريب الحديث، أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي، تحقيق: الدكتور محمد عبد المعيد خان، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1996م.

- الفائق في غريب الحديث، محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، لبنان، الطبعة الثانية.

- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محبّ الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.

- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت.

- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1419ه.

- كوثَر المَعَاني الدَّرَارِي في كَشْفِ خَبَايا صَحِيحْ البُخَاري، محمَّد الخَضِر بن سيد عبد الله بن أحمد الجكني الشنقيطي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1415ه.

- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.

- مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، 1416ه.

- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، طبعة جديدة، 1415ه.

- مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء، الجامعة السلفية، بنارس الهند، الطبعة الثالثة، 1404 ه.

- مشارق الأنوار على صحاح الآثار، القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، المكتبة العتيقة، دار التراث.

- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية، 1420 م.

- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، جمال الدين ابن هشام الأنصاري، تحقيق: الدكتور مازن المبارك والدكتور محمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، الطبعة السادسة.

- المفضّل في شرح المفصّل (باب الحروف)، علم الدين علي بن محمد السخاوي، تحقيق: الدكتور يوسف الحشكي، وزارة الثقافة، عمّان، 2002م.

- النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، الدكتور محمد عبدالله دراز، تعليق عبدالحميد الدخاخني، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، 1417 م.

- النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1399 م.

References:

-Athar al-lughah fī ikhtilāf al-mujtahidīn, al-Duktūr ‘Abd-al-Wahhāb ‘Abdussalām Ṭawīlah, Dār al-Salām, al-Qāhirah, al-Ṭab‘ah al-thāniyah, 1420 ç.

-al-aḥādīth al-qudsīyah min al-ṣaḥīḥayn bākhtlāf al-riwāyāt wa-al-alfāẓ, al-Shaykh ‘Irfān ibn Salīm al-‘Ashshā ḥsswnh al-Dimashqī, Dār al-Ma‘rifah, Bayrūt, al-Ṭab‘ah al-thāniyah, 1423 ç.

-i‘rāb mā yushakkilu min alfāẓ al-ḥadīth al-Nabawī, al-Shaykh al-Imām Abū al-Baqā’ ‘Abd Allāh ibn al-Ḥusayn al-‘Ukbarī, taḥqīq : al-Duktūr ‘Abd al-Ḥamīd Hindāwī, Mu’assasat al-Mukhtār lil-Nashr wa-al-Tawzī‘, al-Qāhirah, al-Ṭab‘ah al-ūlá.

-alt‘ryfāt, ‘Alī ibn Muḥammad al-Jurjānī, taḥqīq : Ibrāhīm al-Abyārī, Dār al-Kitāb al-‘Arabī, Bayrūt, al-Ṭab‘ah al-ūlá, 1405 ç.

-tafsīr Gharīb mā fī al-ṣaḥīḥayn al-Bukhārī wa-Muslim, Muḥammad ibn Abī Naṣr Fattūḥ ibn ‘Abd Allāh al-Azdī al-Ḥumaydī, taḥqīq : al-Duktūrah Zubaydah Muḥammad Sa‘īd ‘Abd al-‘Azīz, Maktabat al-Sunnah, al-Qāhirah, al-Ṭab‘ah al-ūlá, 1415 ç.

-Tahdhīb al-lughah, Abū Manṣūr Muḥammad ibn Aḥmad al-Azharī, taḥqīq : Muḥammad ‘Awaḍ Mur‘ib, Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī, Bayrūt, al-Ṭab‘ah al-ūlá, 2001M.

-al-Janá al-Dānī fī ḥurūf al-maʻānī, al-Ḥasan ibn Qāsim al-Murādī, taḥqīq : al-Duktūr Fakhr al-Dīn Qabāwah, al-Ustādh Muḥammad Nadīm Fāḍil, Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, Bayrūt, al-Ṭabʻah al-ūlá, 1413 ç.

-Ḥāshiyat al-Sindī ʻalá al-nisāʼī, Abū al-Ḥasan Nūr al-Dīn ibn ʻbdālhādy al-Sindī, taḥqīq : ʻbdālftāḥ Abū Ghuddah, Maktab al-Maṭbūʻāt al-Islāmīyah, Ḥalab, al-Ṭabʻah al-thāniyah, 1406 ç.

-al-ḥadīth al-Nabawī : mṣṭlḥh-blāghth-ktbh, al-Duktūr Muḥammad ibn Luṭfī al-Ṣabbāgh, al-Maktab al-Islāmī, Bayrūt, Dimashq, ʻAmmān, al-Ṭabʻah al-thāminah, 1424 ç.

-ḥurūf al-maʻānī, al-Duktūr Sulaymān mʻwwḍ, al-Muʼassasah al-ḥadīthah lil-Kitāb, Ṭarābulus Lubnān, 2008M.

-ḥurūf al-maʻānī wa-ʻalāqatuhā bālḥkm al-sharʻī, al-Duktūr Diyāb Abdoldjavad ʻAṭā, Dār al-Manār, al-Qāhirah, al-Ṭabʻah al-thāniyah, 1421 ç.

-Sirr ṣināʻat al-iʻrāb, Abū al-Fatḥ ʻUthmān Ibn jnny, taḥqīq : al-Duktūr Ḥasan Hindāwī, Dār al-Qalam, Dimashq, al-Ṭabʻah al-ūlá, 1405 ç.

-Ṣaḥīḥ Muslim bi-sharḥ al-Nawawī, Abū Zakarīyā Yaḥyá ibn Sharaf al-Nawawī, Dār Iḥyāʼ al-Turāth al-ʻArabī, Bayrūt, al-Ṭabʻah al-thāniyah, 1392 ç.

-ʻUmdat al-Qārī sharḥ Ṣaḥīḥ al-Bukhārī, Badr al-Dīn Maḥmūd ibn Aḥmad al-ʻAynī, Dār Iḥyāʼ al-Turāth al-ʻArabī, Bayrūt.

-Gharīb al-ḥadīth, Abū ʻUbayd al-Qāsim ibn Sallām al-Harawī, taḥqīq : al-Duktūr Muḥammad ʻAbd al-muʻīd Khān, Dār al-Kitāb al-ʻArabī, Bayrūt, al-Ṭabʻah al-ūlá, 1996m.

-al-fā'iq fī Gharīb al-ḥadīth, Maḥmūd ibn 'Umar al-Zamakhsharī, taḥqīq : 'Alī Muḥammad al-Bajāwī, Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm, Dār al-Ma'rifah, Lubnān, al-Ṭab'ah al-thāniyah.

-Fatḥ al-Bārī sharḥ Ṣaḥīḥ al-Bukhārī, Abū al-Faḍl Aḥmad ibn 'Alī ibn Ḥajar al-'Asqalānī, taḥqīq : mḥbb al-Dīn al-Khaṭīb, Dār al-Ma'rifah, Bayrūt.

-al-Qāmūs al-muḥīṭ, Muḥammad ibn Ya'qūb al-Fīrūzābādī, Mu'assasat al-Risālah, Bayrūt.

-al-Kullīyāt Mu'jam fī al-muṣṭalaḥāt wa-al-furūq al-lughawīyah, Abū al-Baqā' Ayyūb ibn Mūsá al-Kaffawī, taḥqīq : 'Adnān Darwīsh, Muḥammad al-Miṣrī, Mu'assasat al-Risālah, Bayrūt, 1419h.

-kwthar almaʿāny alddarārī fī kashfi khabāyā ṣaḥīḥ albukhāry, mḥmmad alkhaḍir ibn Sayyid 'Abd Allāh ibn Aḥmad al-Jakanī al-Shinqīṭī, Mu'assasat al-Risālah, Bayrūt, al-Ṭab'ah al-ūlá, 1415h.

-Lisān al-'Arab, Muḥammad ibn Mukarram ibn manẓūr al-Ifrīqī al-Miṣrī, Dār Ṣādir, Bayrūt, al-Ṭab'ah al-ūlá.

-Mukhtār al-ṣiḥāḥ, Muḥammad ibn Abī Bakr ibn 'Abd-al-Qādir al-Rāzī, taḥqīq : Maḥmūd Khāṭir, Maktabat Lubnān Nāshirūn, Bayrūt, Ṭab'ah jadīdah, 1415h.

-Mashāriq al-anwār 'alá ṣiḥāḥ al-Āthār, al-Qāḍī Abū al-Faḍl 'Iyāḍ ibn Mūsá ibn 'Iyāḍ al-Yaḥṣubī, al-Maktabah al-'atīqah, Dār al-Turāth.

-Mu'jam Maqāyīs al-lughah, Abū al-Ḥusayn Aḥmad ibn Fāris ibn Zakarīyā, taḥqīq : 'Abd al-Salām Muḥammad Hārūn, Dār al-Jīl, Bayrūt, al-Ṭab'ah al-thāniyah, 1420 ç.

-Mughnī al-labīb ‘an kutub al-a‘ārīb, Jamāl al-Dīn Ibn Hishām al-Anṣārī, taḥqīq : al-Duktūr Māzin al-Mubārak wa-al-Duktūr Muḥammad ‘Alī Ḥamad Allāh, Dār al-Fikr, Dimashq, al-Ṭab‘ah al-sādisah.

-almfḍḍl fī sharḥ almfṣṣl (Bāb al-ḥurūf), ‘ilm al-Dīn ‘Alī ibn Muḥammad al-Sakhāwī, taḥqīq : al-Duktūr Yūsuf al-Ḥashkī, Wizārat al-Thaqāfah, ‘Ammān, 2002M.

-al-Naba’ al-‘Aẓīm Naẓarāt jadīdah fī al-Qur’ān, al-Duktūr Muḥammad Allāh Darāz, ta‘līq ‘Abd-al-Ḥamīd aldkhākhny, Dār Ṭaybah, al-Riyāḍ, al-Ṭab‘ah al-ūlá, 1417 ç.

-al-nihāyah fī Gharīb al-ḥadīth wa-al-athar, Abū al-Sa‘ādāt al-Mubārak ibn Muḥammad al-Jazarī Ibn al-Athīr, taḥqīq : Ṭāhir Aḥmad al-Zāwī, Maḥmūd Muḥammad al-Ṭanāḥī, al-Maktabah al-‘Ilmīyah, Bayrūt, 1399 ç.